جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

المذهبية و تمثلاتها
في النثر المغربي القديم
بحث في المعجم اللغوي ومستوياته

إعداد

الدكتور : عبد المالك مغشيش

قسم اللغة و الأدب العربي ـ كلية الآداب و اللغات ـ جامعة عباس لغرور خنشلة ـ الجزائر

الدكتورة : نجوى منصوري

قسم اللغة و الأدب العربي ـ كلية اللغة و الأدب العربي و الفنون ـ جامعة باتنة ـ الجزائر

العدد الثالث والعشرون

للعام ١٤٤٠هـ / ٢٠١٩م

الجزء الثاني

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠١٩م

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ملخص البحث

المذهبية و تمثلاتها في النثر المغربي القديم

بحث في المعجم اللغوي ومستوياته

يتناول بحثنا تمثلات المذهبية في نصوص نثرية مغربية قديمة لأدباء و أمراء و كتّاب ...عايشوا الفترة الفاطمية وما بعدها بالمغرب الإسلامي ، كونها فترة شهدت صراعا مذهبيا كبيرا ألقى بظلاله على الحياة الفكرية والأدبية بالمنطقة، ، ونقف عند حدود القاموس اللفظي الذي ارتضاه مبدعو النصوص على اختلاف مذاهبهم(سنة ،وشيعة اسماعيلية) في نصوص نثرية مختلفة من(خطب، مناظرات ، وصايا ، توقيعات، رسائل ....) ، وكيف تفاعلت لغة نصوصهم مع النصوص المقدسة الممثلة في القرآن الكريم و الحديث الشريف، ومصادر الأدب كالأمثال والحكم وأشعار العرب...وغيرها، و ما هي حدود لغة الأدباء المتفردين للصنعة والعلماء والفقهاء ودعاة المذهبية وحتى أمراء هذه الدولة كمنتجي للأدب المذهبي... وكيف وُظفت اللغة لخدمة التوجه المذهبي والتأثير في ذهنية المتلقي وذوقه ، ذلك أن توظيفها في مجال الإبداع يحتاج إلى صبغة أدبية عن طريق شحنها بطاقة شعورية فتتجلى في ثوب غير الذي عرفت به في مصدرها المعجمي، تلك الطاقة الشعورية تمنح الأديب حرية استخدام اللفظة الواحدة في مواطن عديدة تظهر فيها في كل مرة مختلفة عما عرفت به في السابق، ،مما يولد لدى المتلقي تذوقا مختلفا .

واختيارنا لهذا الموضوع يعود لقلة الدراسات حول الأدب المغربي القديم خاصة ما تعلق بالجانب النثري من جهة ، والاستخدامات اللغوية الطارئة في النصوص المذهبية والتي تشكل خصوصية في الكتابة النثرية المغربية من

جهة ثانية، وعليه جاء تناولنا للموضوع من خلال ثلاث مباحث محورية، أولها حول معجم العلماء والفقهاء والدعاة وثانيها حول معجم الأمراء والقادة والسياسيين، وثالثها حول معجم الأدباء والكتّاب.

الكلمات المفتاحية: المعجم اللغوي ، النص المغربي، التمثلات المذهبية، المستويات

إعداد

الدكتور : عبد المالك مغشيش
قسم اللغة و الأدب العربي ـ كلية الآداب واللغات ـ جامعة عباس لغرور خنشلة الجزائر

الدكتورة : نجوى منصوري
قسم اللغة و الأدب العربي ـ كلية اللغة والأدب العربي و الفنون ـ جامعة باتنة ـ الجزائر

Abstract

Sectarianism and its implications in the ancient Maghribin text Research in the lexicon and its levels

Our study deals with the doctrinal representations in ancient Moroccan prose texts for writers, princes and writers ... They lived in the Fatimid period in the Islamic Maghreb, as it was a period of great sectarian conflict that cast a shadow over the intellectual and literary life in the region. We stand at the limits of the verbal dictionary, (Sunni, and Ismaili) in various prose texts (sermons, debates, commandments, signatures, letters ...), and how their textual language interacted with the sacred texts represented in the Holy Quran and Hadith, and sources of literature such as proverbs, .. and others, and what are the limits of the language of the writers of different species Scholars, scholars, preachers of sectarianism and even the princes of this country as producers of sectarian literature ... and how the language was used to serve the doctrinal orientation and influence the mentality of the recipient and his taste. The fact that their employment in the field of creativity requires a literary tint, Its source is lexicon. This poetic energy gives the writer the freedom to use a single word in many places where it appears at a different time than in the past, which gives the recipient a different taste.

Our choice of this subject is due to the lack of studies on the ancient Maghribin literature, especially on the prose side, on the one hand, and the emergent linguistic uses in the doctrinal texts, which are special in the Maghribin prose writing, on the other hand. The first is about the dictionary of scholars, scholars and preachers And the second about the dictionary of princes, leaders and politicians, and the third about the lexicon of writers

Keywords: language glossary, Maghribin text, Representations of sectarianism, levels.

Preparation ✍

Dr: Nadjoua Mansouri

University of Batna1 Algeria

Dr: AbdelMalek Maghchiche

University of Abbas Guarour Khenchela Algeria

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدِّمة

إن اختيار اللبنات الأساسية لأي عمل أدبي أمر لابد منه ، وبقدر انتقاء الأديب أو الخطيب لألفاظه بقدر ما يلقي عمله الآذان الصاغية والقلوب الواعية مما يرفعه إلى المستوى الفني المطلوب، لأن لكل لفظة خاصية تميزها عن غيرها وخاصة إذا اقترنت بتركيب خاص يلزمها ولا ينفر منها وفي هذا يقول "حازم القرطاجني":" ...وكما أن الصورة إذا كانت أصباغها رديئة، وأوضاعها متنافرة وجدنا العين نابية عنها غير مستلذة لمراعاتها ، وإن كان تخطيطها صحيحا، فكذلك الألفاظ الرديئة القبيحة التأليف... "(١).

إنّ النثر في معظمه :خطب، مناظرات، رسائل... قائم على الأداء، وحسن التناول، وإقامة العلاقات بين الألفاظ، ومراعاة الجرس الذي ينبعث من هذه الألفاظ والتراكيب ،ولذلك وجب أن تكون هذه الألفاظ منتقاة بعناية لتصور حقيقة ما مر به الأديب من مواقف هزته بقوة ،خاصة إذا طعم هذا بصراع أفكار ومذاهب .

ولعل ما يراعيه الأديب في نصه الجانب الصوتي للفظة ومدى موافقتها للسياق وللمعنى المراد، فهناك ارتباط بين بعض الحروف ودلالة الكلمات، حيث إن العبرة بموقع الحروف من الكلمة لا بمجرد دخوله في تركيبها. وإن الاستثناء في الدلالة قد يأتي من اختلاف الاعتبار والتقدير"(٢).

---

(١) حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، د ط، 1981، ص129.

(٢) عباس محمود العقاد: أشتات مجتمعات في اللغة والأدب، دار المعارف، مصر،د ط،1970م، ص48-49.

فمن جملة ما ينبغي أن يراعى في موسيقى الألفاظ، أن تكون مرتبطة بالمعنى لتنقل إلينا تجارب إنسانية تثير في أنفسنا خواطر و إحساسات وانفعالات. " فالقيمة الشعورية التي تحملها الألفاظ تختلف من فرد إلى فرد ، كما تختلف من جيل إلى جيل تختلف أولا بحسب المشاهد ، والتجارب التي مرت بهذا الفرد ،مما ينطبق عليه دلالة هذا اللفظ ، وتختلف ثانيا بحسب استجابة كل فرد بما يمر به من هذه المشاهد ، والتجارب مما يفسح المجال لأنماط لا تحصى من الانفعالات والمشاعر كلما ذكر لفظ من الألفاظ،فاستدعى من الذاكرة صور هذه التجارب"(١).

أما عن السياق التركيبي الذي تأتي اللفظة ضمنه، فهو مهد وظيفتها التبليغية، يقول "عبد القاهر الجرجاني": " وأعلم أن مما هو أصل في أن يدق النظر ويغمض المسلك في توخي المعاني التي عرفت أن تتخذ أجزاء ويدخل بعضها في بعض وأن تحتاج إلى أن تضعها في النفس وضعا واحدا ... "(٢).

فتبليغ الرسالة يحتاج إلى دعائم نصية أساسها وضع اللفظة في سياقها التركيبي الذي يليق بها، يقول أحد المحدثين: :" التركيب البليغ ما كان عذبا في جهاز الإرسال ، وهو الفم ، ولطيفا على جهاز الاستقبال، وهو الأذن، سالكا في أجهزة القلب والعقل والوجدان طريقة المقصود ... "(٣).

---

(١) سيد قطب: النقد الأدبي أصوله ومناهجه ،دار الكتب العربية ،بيروت، د ط ، د ت، ص41.

(٢)عبد القاهر الجر جاني: دلائل الإعجاز،تصحيح:محمد رشيد رضا ،دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت،د ط، 1981م، ص279.

(٣) بكري الشيخ أمين: البلاغة العربية في ثوبها الجديد، علم المعاني، دار العلم للملايين، ،بيروت ، ط1،1979م،ج1،ص28-29.

وقد حدد "حازم" بعض ما يسبب الغموض في العبارة فقال:" ومن ذلك أن يقع في الكلام تقديم وتأخير، أو يتخالف وضع الإسناد ، فيصير الكلام مقبولا أو يقع بين ببعض العبارات وما يرجع إليها ... "(١).

وتعامل الأديب مع اللغة يؤدي بنا إلى الحديث عن المعجم اللغوي للكتّاب والأدباء والمعجم النثري الذي يكاد الناس يتفقون عليه قديما وحديثا، أما حديثا فلا يرى الدارسون تبيانا في اللغة نفسها ، إنما في طريقة تناول اللغة ذلك " أن الألفاظ ملك لجميع الناس وهي تستخدم في كلّ فن من الفنون الأدبية ، ولكن كل فن يستخدمها بطريقته الخاصة ،فاللغة في الشعر الناجح تبدو تركيبية ،في حين أنها في النثر تحليلية ، ذلك أن التركيب عملية يقتضيها العمل الشعري،في حين أن التحليل تقتضيه الكتابة النثرية"(٢).

وإذا كان المعجم هو مصدر اللغة ، فتوظيفها في مجال الإبداع يحتاج إلى صبغها بصبغة أدبية إبداعية بحتة عن طريق شحنها بطاقة شعورية إبداعية فتتجلى لنا في ثوب غير الذي عرفت به في مصدرها المعجمي، ونظرا لهذه الطاقة الإبداعية في التعامل مع اللغة .فإن الأديب يمكنه استخدام اللفظة الواحدة في مواطن عديدة تظهر فيها في كل مرة مختلفة عما عرفت به في السابق، فهو يقدمها بصور مختلفة ،مما يولد لدى المتلقي تذوقا مختلفا .

(١) حازم القرطاجني: المصدر السابق، ص174.

(٢) عز الدين اسماعيل: الأدب وفنونه ، دار الفكر العربي، بيروت، ط8،1983م، ص99.

وهذا الاعتناء بصور التركيب والصياغة يحتم الالتفات إلى الوضع أو المعنى النحوي "فعبد القاهر الجرجاني" يقول: " لا معنى للنظم من غير توخي معاني النحو فيما بين الكلام ... "[١]. والالتزام بمعاني النحو لا يعني الخضوع للقاعدة النحوية فقط، بل يستوجب إعطاء الكلمة موقعها المهم من السياق الذي إن فقدته ستفقد معه إيحائها ودلالتها و بها يختل المعنى.

(١) عبد القاهر الجرجاني:المصدر السابق، ص279.

- التمثل المذهبي في القاموس المعجمي و مستوياته :

إن المتمعن في لغة النصوص من حيث ألفاظها وسياقها الذي جاءت فيه يجد أنها ليست على مستوى واحد، من حيث انتقاء اللفظ والتعامل معه من قبل كل مبدعي النص على اختلافهم وهو أمر طبيعي لاختلاف المشارب واختلاف النحل والملل، واختلاف الملابسات الخارجية والداخلية ومنها السياسية والمذهبية ، فلغة العلماء والفقهاء ودعاة المذهبية تميزت بألفاظها الجزلة المتينة خاصة في خطبهم ومناظراتهم وبعض رسائلهم ،وقد تكون أكثر دقة وعذوبة في بعض الأشكال السردية الأخرى كالسير والتراجم والقصص.... والأمر نفسه في لغة أمراء الدول المتتابعة وما تتسم به من هدوء وعذوبة، و المباشرة كما هي في متون اللغة ولا تشحن بالعواطف والمشاعر إلاّ حينما يخصصونها لنشر أفكارهم المذهبية وسياستهم .

أما الأدباء المتفردون بالصنعة الأدبية، خاصة وأن معظمهم مزج بين صناعة النثر والشعر، فقد طغت على قاموسهم اللغوي الألفاظ المشحونة بالجماليات والخيال الفسيح... ومن هنا يمكن تقسيم القاموس المعجمي المغربي لهذه الفترة حسب طبيعة مبدع النص إلى:

١- **معجم العلماء والفقهاء والدعاة**:

ونعني بها الألفاظ التي وظفها دعاة العقيدة وعلماء وفقهاء الدولة في نصوصهم النثرية الموجهة إلى الرعية من خطب توعوية ودينية ورسائل للحكام والأمراء ...وغير ذلك مما يخدم الدولة والعقيدة، وهنا نذكر الرموز الدالة والمشتركة:(الله ، الإله ، الرب ، محمد ، المسجد ، الصلاة ، الخطبة، القرآن ، الشهادة ، الدين ، دين الله ، الإسلام ،المسلمون ، الإيمان ، الآذان، النبي، السجود، الركوع ، الزكاة ، الصدقة، الجهاد الجنة ، النار ، المنبر، المحراب ،النعيم، الكعبة، البيت الحرام، الحوض، الحواري عيسى ، المهاجرين، الأنصار، البيع...).

مثل هذه الألفاظ وغيرها كثيرة الاستعمال في شتى الأشكال النثرية باعتبارها رموزا إسلامية تنمي روح المقاومة في نفوس الأفراد وبذل النفس والنفيس للدفاع عن مقومات الأمة وعلى رأسها العقيدة .

وفي مجال العقيدة المذهبية نجد الألفاظ الدالة على الصراع المذهبي في شقين: تتعلق الأولى بأهل السنّة :(الرافضة الباطنية، الكفار، الملاعين، المشارقة، المارقيين ، المغتصبين، المبدلين...). والثانية بأهل التشيع (آل البيت ، العترة ، الإمام ، الولي ، علي ، فاطمة ، الحسن، الحسين، المهدي، الإمام، مولانا ،أمير المؤمنين ، الحجة...). وهذه الألفاظ تستخدم في الغالب لاستثارة المشاعر وتحفيز الأتباع، وقد استعملت استعمالا أدبيا سياسيا دعويا لنشر الدعوة وتحريك النفس والمشاعر وتصوير الوضع القائم وهي كثيرة خاصة في الخطابات المباشرة من مثل الخطب بأنواعها .

أما ألفاظ العلماء والفقهاء التربوية التعليمية فقد جاءت ضمن سياق تربية النفس الفردية والجماعية والتي وجدناها بصورة خاصة في الوصايا والكتابات التأليفية وبعض الرسائل والتوقيعات... ، وقد استقاها هؤلاء من المعجم التعليمي الناتج عن تجاربهم التعليمية في المساجد والكتاتيب ومجالس العلم وحلقات الذكر، وقد كان القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف أساس هذا المعجم التعليمي، من ذلك ما جاء في الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين للقابسي من ألفاظ تعليمية: (الكتابة، الحروف، التعليم، المعلم، التأدب، التأنيب، الجهل، العلم، العقاب، الموهوب، المكافئات، الفطنة، الحِذقة، الزاد، العصا، اللوح...).

ومن الألفاظ التربوية ما جاء في صيغة الوعظ والإرشاد والتي نلمحها في وصية الفقيه "محرز بن خلف" إلى" الأمير المعز الصنهاجي":(استح، احذر، بطانة، سوء، شاور، اتق، استعن، توكل...).

ومن ألفاظ الفقهاء والعلماء الكتّاب الذين مزجوا بين العلم والأدب ما يرقى إلى مستوى الألفاظ الأدبية الخيالية التي تتماهى إلى الشعرية الصوفية والتي نجدها في بعض الرسائل الإخوانية وقصص الكرامات و العجائبيات وفي بعض التآليف الأدبية و النقدية، من ذلك ما جاء في نثر "القاضي النعمان "من ألفاظ رقيقة عذبة مصطبغة بطابع ديني جاءت في شكل دفقات تعبيرية شاعرية(السرور، الشنعات، الإرجاف، الدهماء القواصي، الألفة، الذليل المقموع والغزير الممنوع...)[١].

(١) القاضي النعمان: افتتاح الدعوة، ص ٢٥٥-٢٥٦.

٢- **معجم الأمراء والقادة والسياسيين**:

هي الألفاظ التي تميز التجربة النثرية المواكبة لمختلف الصراعات والمعارك الحربية الشرسة ،في أبعادها الحضارية وفي نطاقها الجغرافي العربي والدولي. فإذا أمعنا التركيز مع هذه الألفاظ وجدناها مألوفة السمع والوقع، مصاحبة لميادين الوغى في معظمها، ومن ألفاظ المعارك والحروب ما يتعلق بوصف العدو :(الخائن ، العميل، اللعين، الكفرة، الفجرة...) ووصف أرض المعركة:(فارس ، فرسان ، عساكر، جنود، الزحف ،رجال، معركة، العدة، السرايا، الأسطول...) وهذا ما نجده خاصة في الرسائل والخطب.

أما ما تعلق بالعدو الخارجي والمعاهدات والحروب التي جرت بينهم وبين أهل المغرب فقد أنتجت ملفوظات دبلوماسية منها(المفاوضات، الموادعة، السلم، الهدنة...) أو ملفوظات الغضب والثورة :(الفتك ، السلخ ، قطع الرؤوس ، الوغى ، الفتوح ، الأخذ الغنم ، السلب ، السبي، الخيانات، سلم ، نصر انهزام ، الوغى ، الصراع ، ،النهب، الجلاء..).من ذلك رسالة "المعز" لطاغية "الروم" والتي شحنها بألفاظ دالة على غضبه ومقته لهم: (الطاغية ،الروم الأعداء ، العدو ، الإفرنج ،الباطل، أهل النار، النصارى، المنافقين ،اليهود، التوراة ، الإنجيل ،المستكبر...).

وقد نجد الألفاظ سهلة سلسة تمضي كأنها تنساب من منبع رقراق ، ليس بينها تنافر واضحة ليس فيها غموض، لا تثقل على اللسان مباشرة وتمضي مسرعة كما هو الحال في الخطب الدينية الخاصة بالأعياد والمناسبات والتي في مجملها يتهيأ لها الخطيب الأمير ويتروى فيها

ويشحنها بملفوظات التقرب إلى الله وحسن التوكل عليه و اتباع سيرة المصطفى صل الله عليه وسلم وحسن الأخلاق... من ذلك خطبة "المنصور" بقلعة "كيانة" في "عيد الأضحى" وهو يحاصر" أبا يزيد" ،وبالرغم من الموقف العسكري الذي يقفه الأمير إلا أنه التزم الهدوء ورباطة الجأش ،وكأنه لم يقف في موقف حرب ،وهذا يعود ربما إلى تأكده من قرب نهاية عدوه والقضاء عليه ومما قال فيها: " أوصيكم عباد الله بما أوصيت به نفسي قبلكم من تقوى الله ومراقبته ، والعمل بما يرضيه ، ويقربنا وإياكم إليه ، ففي تقواه رضاه، وبرضاه الفوز بالجنة والنجاة من النار... فتقربوا إلى الله تعالى فيه بما أمركم به..."(١).

كما تداعت ألفاظ الشكوى والعتاب في نصوص الأمراء عند إحساسهم بقرب خطر العدو، من ذلك الرسالة التي بعثها " المنصور"إلى "كتامة :وهي مليئة بألفاظ الشكوى والعتاب يقول فيها:"...وقد تتابعت إليكم، معاشر كتامة كتبنا ورسلنا تحضكم على ما فيه رضا سيدكم ومولاكم ، مولانا أمير المؤمنين ، المقرون رضاه برضا رب العالمين ، فتربصتم وتثاقلتم إلى الأرض ، ورضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة وبالعاجلة من الآجلة ، فعلى الذين أصمتهم الدنيا وأعمتهم، ولا يعرفون معروفا فيبصرونه ، ولا منكرا فيرفعونه ، تبذلون أنفسكم وأموالكم على حمية الجاهلية التي معها خسران الدنيا والآخرة وقد أعرضتم عن الجهاد الذي أمركم الله به ، صفحا ، وزهدتم في الثواب ، وأمنتم العقاب، كأنكم لم تسمعوا وعد الله ووعيده ، ولا تليت عليكم آياته ، ولا قامت عليكم حجته ... يا أشباه الرجال ولا رجال . رضيتم بالعار ، فهل لكم صبر على النار ؟ ... واعلموا أني لا أكتب إليكم

(١) القاضي النعمان: افتتاح الدعوة ، ص168-169.

كتابا بعد هذا ، وأني لم أكتب إليكم هذا الكتاب إلا بسؤال من قبلنا من أوليائنا الذين جاهدوا وصبروا ، وإلحاحهم وضرعهم ، وطلبهم منا الإعذار إليكم ، وتأكيد الحجة إليكم ، وتأكيد الحجة عليكم ، رجاء منهم أن تنيبوا إلى ربكم ، وترجعوا التوبة التي هي أولى بكم ، وتسارعوا إلى قضاء ما افترضه الله عليكم من الجهاد الذي فيه تمحيص الذنوب ، ومحو العيوب ، وتفريج الكرب أنفذنا مع كتابنا هذا رجالا تأكيدا للحجة عليكم ، وقطعا لمعاذريكم. فإن تتوبوا وتنيبوا تجدوا الله توابا رحيما.... وإن تتولوا يغن الله عنكم ويستبدل قوما غيركم، ثم لا يكونوا أمثالكم. والسلام على من اتبع الهدى ، وآثر الآخرة على الأولى "[1].

وفي الفترات التي تخمد فيها الفتن والحروب بفعل الانتصار يعم الفرح والأمل بلاط ومجالس الأمراء والقادة فيكون الخروج عن مألوف وعن نسخة الحزن والألم والشكوى و البلوى لتتفتح ألفاظ ندية عطرة مليئة بالأمل والفرح بما تحقق على جبهات القتال و نشوة الانتصار ونخم الفوز ويمكن الإشارة إليها كما يلي:(النصر ، الفوز ، الأمل ، الهناء ، الصفاء ، العزة ، التمكين، القوة، البلوغ...). وبالرغم من محدوديتها، ونظرا لقصر فترات الهدوء والاطمئنان، إلا أنّ دورها كان غالبا في الأهمية مما تستثيره من مشاعر الأمل، ورفع لمعنويات الأنصار ومنحهم نفسا جديدا لإكمال المسيرة الشائكة والطريق الصعب.

(١) محمد اليعلاوي : الأدب بإفريقية في العهد الفاطمي، ص152.

ونجد هذا في رسائل وخطب الفاطميين[١] إلى أنصارهم ومنها كتاب الأمان الذي كتبه"أبو عبد الله الشيعي" بعد دخوله رقادة منتصرا وقال فيه: "أمّا بعد فالحمد لله النّاصر لأوليائه لما سبق لهم من وعده وخاذل أعدائه بعد الإعذار إليهم بوعيده، الذي لم يجمع بين أنصار الحقّ وأتباع الباطل في موطن من مواطن التّحاكم إلا وهب لأنصار دينه النّصر وأيدهم بالعزّ وأنزل بأعدائه البأس والنَّقمة إظهارا لفضل منزلة الحقّ عنده وإذلالا لمن عند عن سبيله وصدف عن حقّه حمدا برضاه ويتقبله ويحسن المزيد عليه من فضله"[٢].

(١) قامت هذه الدولة في المغرب الإسلامي (٢٩٦هـ/٣٦٢هـ) بزعامة "عبيد الله المهدي "مدعيا أنه صاحب الحق في الخلافة وأنه حفيد "محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق الذي ينتهي نسبه إلى الحسين بن علي رضي الله عنه". وقد مهد لقيام الدولة إسماعيلي يدعى"أبو عبد الله الشيعي" وهو داعية إسماعيلي ، يعود له الفضل الأكبر في تأسيس هذه الدولة ، وحشد لنصرتها قبيلة كتامة. التي بفضلها نجح "أبو عبد الله" في الثورة على الأغالبة وإسقاط حكمهم. وبعد فتح مصر سنة(٢٥٨هـ) انتقل إليها آخر أمرائهم المعز لدين الله. وعرف هذا العهد صراعا مذهبيا كبيرا ألقى بظلاله على الحياة الفكرية و الأدبية بالمنطقة "(ينظر: ابن حماد: أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق وتعليق، جلول أحمد البدوي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د ط،1984 م، ص19.المقريزي: اتعاظ الحنفاء، تح: جمال الدين الشيال، طبعة دار التحرير ،القاهرة، ج1،د ط ،1963م، ص16.الشهرستاني: الملل والنحل، تح: أحمد فهمي، دار المعارف ،لقاهرة، ج1، دط،1967م، ص1272. مصطفى غالب: تاريخ الدعوة الإسماعيلية، دار الأندلس، بيروت، ط3، 1979 م، ص-10 6. القاضي النعمان: افتتاح الدعوة، تح: فرحات الدشراوي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ،ط2،1986م، ص64).

(٢)القاضي النعمان: افتتاح الدعوة ، ص254.

ومنها أيضا الرسالة التي بعثها "المنصور" إلى "كتامة " ومما جاء فيها: " أما بعد ، فإن كتابنا هذا إليكم ، بعد نزولنا بالقيروان بجيوشنا المنصورة من أوليائنا وعبيدنا

وقد أعز الله نصرنا ، وأتم وعده لنا ، وأعز أولياءنا ، وأذل أعداءنا وأظفرنا ، ومكن لنا البلاد ، وقمع بنا جميع العباد ، طوعا وكرها ، و المنة و الشكر لله رب العالمين"(١).

كما في رسالة "المنصور" الموسومة باسم "القائم" موجهة إلى "جوذر" بالمهدية ،مما جاء فيها:" اليوم أعز الله دين جدك محمد رسوله المصطفى صلى الله عليه وعلى آله، وسنته وأمته، وأدعم به أركان الدين، وأظهر برهان أمير المؤمنين، وأفلج حجته ، وأعلى كلمته، ونصر حزبه .اليوم فتحت مشارق الأرض ومغاربها ... جملة ما أبشر به سيدنا ومولانا أمير المؤمنين، أن قتلاهم غطت الأرض، وما عجز الأولياء عن حمله و استثقلوه، أطلقت عليه النار فأحرقته. واستولينا على مناخ اللعين بما فيه من قليل و كثير، فقتل فيه ما لا يحصى، سوى ما قتل في المعركة، وليس إلى إحصاء من قتل سبيل لكثرتهم " (٢).

(١) محمد اليعلاوي : الأدب بإفريقية في العهد الفاطمي ،ص152.
(٢) نفسه، ص157.

٣- معجم الأدباء والكتّاب:

بالرغم من الفتن والحروب الطويلة كانت هناك فترات للاستقرار والدعة وهو ما استغله الأدباء من أجل بعث روح الأمل في العيش والتمتع بالحياة بالرغم من محدوديته، نظرا لقصر فترات الهدوء والاطمئنان، إلا أنّ دوره كان غالبا في الأهمية مما تستثيره من مشاعر الأمل،ورفع لمعنويات الناس ومنحهم نفسا جديدا للاستمرار في الحياة،من أجل ذلك ركزوا على الألفاظ الدالة على الفرح والأمل (الهناء، الرخاء، الأمن السلم، الحب، رغد، شمس...).

كان المعجم اللغوي عند الأدباء مشتركا بينهم في شتى الأشكال النثرية بما له دلالة حضارية عميقة وخاصة ما تعلق بالجانب الفكري ، فهو يصدر عن تصور مختلف للعقيدة والحكم السياسي، وفي أشكال هذه الفئة تكثر ألفاظ المدح و الحماسة والتوسل... للتقرب إلى الحكام.

وفي العموم كانت لغة الأدباء المتفردون بالصنعة الأدبية من أمثال :"ابن رشيق"، و"ابن شرف"، و الحصري... وغيرهم، تتسم بالجزالة وتفتح فضاء خاصاً إبداعياً يعتمد على مراوغة اللغة من خلال إعطاء الألفاظ دلالات جديدة عن طريق تجاوزها وتوزيعها داخل النصّ. وهو ما يكشف عن حسن تصرف في الأداء الفنيّ للغة.من ذلك ما جاء في رسائل الحصري من جماليات التصنع في الألفاظ من حيث التسجيع والتجنيس والتكرار كقوله مفتخرا: "... يا مهموس، أنا الطّاء، وأنت الهواء، فلست من طباقي بين

همسك وإطباقي، لو زرت نقران ونجران لألفيت ذكري قد علا، وشعري قد غلا، ما اغتابني في غيب إلاّ ذو عيب وخيم..."[١] .

وقد وظّف "ابن دفرير" في رسالته التي كتبها عن الأمير "يحي بن العزيز الحمّادي " بعض الألفاظ توظيفاً حسناً ليكشف عن قمة المعاناة كقوله: "استفز أهل مولاتنا الشنآن، وأغرى من اصطنعناه وأنعمنا عليه الكفران فأتوا ،يستشفى من داء بداء"[٢].

لقد استطاعت هذه الجمل أن توجه القارئ إلى جمالية هذا التعبير الذي اعتمد على التقابل بين جمل متوالية في مقام أول ثم على تقابل الألفاظ في تواليها في مقام ثانٍ فأنتج ذلك دلالة خاصة للنص بإبداع علاقات إسنادية جديدة، اعتمد فيها الكاتب على التشبيه، والتي أدت إلى تواصل دلالي ناتج عن تواصل الكلمات والجمل فكان اختيار الكاتب لألفاظه مفروضا عليه معجماً ولغوياً فرضاً طوعياً.

جاء اختيار الكاتب لألفاظه بعناية، منتجا دلالات تقرب المتلقي إلى واقع النص الذي تشاكلت ألفاظه، وجمله لتضفي على المعنى رونقا، وجمالاً ،كقوله : "... فعند ذلك اعتزلنا محلة الفتنة، وملنا إلى مظنة الآمنة، وبعثنا في أحياء هلال نستنجد منهم النجدة، ونستفز من كنا نراه للمهم عدة، وأنتم في هذا الأمر أول من يليهم الخاطر، وتثني عليه العناصر"[٣]. فجاء هذا النسق اللغوي

---

(١) محمد المرزوقي و الجيلاني بن الحاج يحي :علي الحصري القيرواني، تقديم :محمد اليعلاوي، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون(بيت الحكمة) ، تونس،٢٠٠٩، ص١٣٦.

(٢) العماد الأصفهاني: المصدر السابق،ص١٨٠.

(٣) نفسه،ص١٨٠.

ليؤكد على المعنى الذي أراده الكاتب، على الرغم من أنّ اللفظ يمكن أن ينصرف إلى أكثر من دلالة لعدم تقيّده بسياق واحدٍ، إلاّ أنه، هنا، جاء مقيداً بضرورة إثراء النص، فالأفعال اعتزلنا، ملنا، بعثنا، نستنجد" تشاكلت لتسهم في بناء النص بناءً يتماشى وطبيعة الموضوع والظرف السياسي، ثم تمازجت مع ما يليها من ألفاظ لترسم واقع النص ،وهو حال معظم النماذج النثرية في القرنيين الرابع و الخامس للهجرة.

وقد يستخدم الأديب ألفاظ العقيدة في نصوصه كرموز يقدمها من أجل الاستعطاف أو التقرب من أولي الأمر حيث نجد الكتّاب والخطباء يتفاوتون في إبداع صور المعاناة والشكوى ، ومنهم من يكثف لغته حتّى تشعر بها تتقطر ألما وحسرة ، ومنهم من لا يعدو الوصف الخارجي والتقرير المباشر ،ويمكن إجمال هذه الألفاظ في:(اليأس ، القنوط ، البكاء، الحزن ،الرعب، الأهوال، الموت ،الطعن ،الردى خزي،عار،عقاب، فزع، شيوخ، أطفال، نساء، الطمع ، الأمان ،الخوف ، الحفظ ، الترحم ، الحظ ، السوء ، المنقلب...).

ومن الكتاب المتميّزين باختيار الألفاظ وفق الموضوع أو مقتضى الحال أصحاب المؤلفات المختلفة بين الأدبية والنقدية والتاريخية ،حيث يتحرى المؤلِّف ما يصلح للتوثيق التاريخي وما يستدعه من ألفاظ وعبارات تناسب الحدث وتعبر عنه أصدق تعبير دون مبالغة أو تقصير ومن ذلك كتاب "طبقات علماء إفريقية وتونس" لأبي العرب"، الذي اعتنى فيه بالأسلوب العلمي السهل في جل ترجماته للعلماء ،من مثل قوله: "أبو الحسن علي بن زياد من أهل تونس كان ثقة مأمونا فقيها متعبدا بارعا في الفقه ،سمع عن

"مالك بن أنس" ومن "سفيان الثوري"..."[١] وقوله في ترجمة الإمام سحنون: "...ومن شيوخ أهل إفريقية أبو سعيد سحنون بن سعيد بن حبيب التنوخي من صليبه العرب وأصله من الشام من أهل حِمص، و أبوه سعيد قدم مع الجند ، وهو من أهل حمص، كان سحنون جامعا للعلم فقيه البدن؟اجتمعت فيه خلال ما اجتمعت في غيره، الفقه البارع و الورع الصادق والصرامة في الحق و الزهادة في الدنيا والتخشن في الملبس والمطعم والسماحة و الترك .لا يقبل من السلطان شيئا و كان ربما وصل بعض إخوانه بالثلاثين دينارا، و كان سحنون أول من شرد أهل الهواء من المسجد الجامع ، و كان فيه حلقات للصفرية و الإباضية(والمعتزلة يتناظرون فيه) و يظهرون زيغهم ، و قد كان حافظا للعلم ، لم يكن يهاب سلطانا في حق يقيمه...وولّي القضاء سنة أربع و ثلاثين و مائتين، وهو يومئذ ابن أربع و سبعين سنة، و لم يأخذ على القضاء أجرا، و توفي رحمه الله، يوم الثلاثاء تسعة أيام مضت من رجب سنة أربعين و مائتين"[٢]. وتحرى أبو العرب في ذلك اليسر والسهولة مما استدعته الكتابة التاريخية، والموضوعية في السند مما ثمّن الكتاب و أفاد الأجيال بحفظه لسير وتراجم الأجداد، باعتبارها إرثا حضاريا.

ومن أمثلة الكتابات العلمية الأدبية التي يتحرّى فيها المؤلِّف الدقة والوضوح والموضوعية كتاب "العمدة" لابن رشيق"" الذي انحاز فيه إلى التعبير الأدبي الرقيق والألفاظ السهلة المسجوعة المناسبة للقول النقدي حول النص الأدبي ومن ذلك قوله: " وإذا كان الكلام على هذا الأسلوب الذي ذكره الجاحظ لذ سماعه، وخف محتمله وقرب فهمه، وعذب النطق به،

(١) أبو العرب : طبقات علماء إفريقية وتونس، ص٧٣.
(٢)عمر فروخ : المرجع السابق، ص٢٢٨-٢٢٩.

وحلي في فم سامعه، فإذا كان متنافرا متباينا عسر حفظه، وثقل على اللسان النطق به، ومجته المسامع فلم يستقر فيها منه شـــيء"[١].فالألفـــاظ دقيقـــة رقيقة عذبة ، علمية واضحة ملمّمة بجوانب القضية النقدية .

وعموما فإن نثّار المغرب باختلاف انتماءاتهم المذهبيـــة وتوجهـــاتهم وآرائهم في مختلف المجالات المحيطة بهم –باعتبارهم كتّاب الـــدول– ،قـــد سلكوا الطريق نفسه ، ونهجوا آثار بعضهم البعض في الكثير مـــن الألفـــاظ والعبارات، والتراكيب . والغاية من وراء هذا العنصر ليس الاستقصاء لكـــل ما اقتبسه الأدباء أو ضمنوه ،ولكن هو إشارة إلى أنّ الأشكال النثريـــة فـــي هذا القرنين الرابع والخامس للهجرة ،تزخر بمثل هذه التراكيب و التعابير ، لكونها أخذت منحيين ،تمثل الأول في: كونها موجهة إلـــى عامـــة النـــاس واعتماد الأدباء والأمراء على ما هو متداول ومتعارف عليه خاصة ما تعلق بالقرآن الكريم والحديث النبوي، وما تعلق بتاريخ صدر الإسلام. لما لهم من تأثير في المتلقين واستجابة سريعة لها. أما ثانيا فهو اســـتنطاق لحـــوادث التاريخ وآيات القرآن الكريم والتمثل والاستشهاد بها، لاســـتمالة المتلقـــي والتأثير فيه.

(١)نفسه، ص ٢٥٨.

خاتمة:

نخلص مما سبق إلى أنّ أدباء و كتّاب و أمراء المغرب الإسلامي، قد أجادوا في الانطلاق من الفصحى والسمو بلغة الأدب من حيث صوغ القوالب، وتراكيب الجمل والثروة اللفظية وطرق التعبير. ولم تزل اللغة من حيث بناؤها الحقيقي على الرغم من بعض السمات المولدة محافظة على أصولها وسلامتها بل إن المناظرات ، والمساجلات ،التي كانت تجرى في مجالس العلم وحلقات الدرس تميزت بمصطلحات وألفاظ خاصة من الناحية الأدبية ،ولدها أصحاب الاختصاص للتعبير عن المفاهيم الجديدة كما هو الشأن في حلقات "القاضي النعمان " في بث الدعوة الإسماعيلية،ومناظرات "الداعي الشيعي" مع "ابن حدّاد" ومع المساجلات التي تحدث بين المعز وقواد الجيش أو معارضيه .فهناك معان مستحدثة ، وألفاظ مفردة مشتقة من الدعوات التي ينشرونها فقد كان للفقهاء والأمراء وقواد الجيش ألفاظا مشتقة من كلام العرب.

وعند إشارتنا إلى المفاهيم المذهبية للشيعة مثلا ،فإننا وجدنا للمصطلح الواحد أكثر من مدلول ،فما وجدناه عند السنّة وعند العامة بمدلول كان عند الشيعة بمدلول آخر، كما أن المفاهيم والمصطلحات التي تدور على ألسنة الخطباء والأدباء، تساعدنا على إلحاق النصوص النثرية أو المصنفات إلى صاحبه، ومعرفة مذاهب أصحابها، ذلك لأن لغة هؤلاء الأدباء تتسم بالجهوزية، والألفاظ المتعارف عليها بينهم تتكرر في جملهم بل في كل مؤلفاتهم ،و في كل مجالسهم العلمية.

ومن خلال هذا نستطيع إذا قرأنا كتابا أو نصا يعالج قضية ما وكنا نعلم سماته الفكرية ومنطلقاته العلمية ،أن نصنفه في مذهب من مذاهب البحث اللغوي في تلك الفترة .وألفاظ والمصطلحات والفنون النثرية في إطارها المذهبي (الشيعي ، الخارجي ، السنّي) والتي لا يشك أحد في أصالة مادتها اللغوية ، ولا في موافقتها لسنن العربية فأصبح لكل مذهب كلام وألفاظ ،بعد أن عجزت الأسماء المتداولة والمأثورة عن اتساع المعاني المذهبية أو الكلامية ،أو غيرها من المعاني الأخرى .وإن حروف هذه الألفاظ وأشكالها وتراكيب عباراتها عربية صحيحة سليمة،فهي متداولة أو منقولة لمعان جديدة ، اقتضتها الحياة الثقافية والفكرية ، فهي رموز لا يفهمها إلاّ من هو في مثل حال المتكلمين من لطف الطبع ، ومن هو مهيأ لفهم تلك الإشارات اللفظية.

كما أننا نجد أن هناك بعض المعاني الجديدة والألفاظ والمصطلحات يستعملها أصحاب العلوم والمذاهب المختلفة بعينها على معان أخرى مختلفة ،وكذلك نجد بعض ألفاظ المتكلمين يستعملها أهل النحو للدلالة على معاني أخرى،فإذا كان المتكلم في المذاهب خائضا استعملها للدلالة على ما تعارف عليه أهل صناعته

وإذا كان خائضا في الأدب والنحو استعملها للدلالة على ما عليه الجمهور وهذا التداخل في الدلالات والاشتراك في الألفاظ قد يدخل على المتلقي اللبس وسوء الفهم، وكان الأحسن أن يكون لكل علم ولكل صناعة ألفاظ تخصه.

بيبليوغرافيا :

- أبو العرب : طبقات علماء إفريقية وتونس ،تحقيق علي الشابي و نعيم حسن اليافي ،الدار التونسية للنشر، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ط2 ،1985م.
- حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، د ط، 1981.
- بكري الشيخ أمين: البلاغة العربية في ثوبها الجديد، علم المعاني، دار العلم للملاين، بيروت ج1، ط1،1979م.
- سيد قطب: النقد الأدبي أصوله ومناهجه ،دار الكتب العربية ،بيروت، د ط، د ت.
- عباس محمود العقاد: أشتات مجتمعات في اللغة والأدب، دار المعارف، مصر، د ط،1970م.
- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تصحيح: محمد رشيد رضا ،دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، د ط، 1981م.
- عز الدين اسماعيل: الأدب وفنونه ،دار الفكر العربي، بيروت، ط8،1983م.
- العماد الأصفهاني: خريدة القصر وجريدة العصر قسم شعراء المغرب، تح: محمد العروسي المطوي الجيلاني بن الحاج يحي، محمد المرزوقي، الدار التونسية للنشر، تونس،ج ١،ط٣، ١٩٨٦ م.

- عمر فروخ : تاريخ الأدب العربي في المغرب والأندلس،دار العلم للملاين، بيروت لبنان،ط 4 ، ١٩٨٤م.
- القاضي النعمان: افتتاح الدعوة، تحقيق: فرحات الدشراوي ،الشركة التونسية للتوزيع تونس ،ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، ١٩٨٦م.
- محمد المرزوقي و الجيلاني بن الحاج يحي :علي الحصري القيرواني، تقديم : محمد اليعلاوي، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون(بيت الحكمة) ، تونس،٢٠٠٩م.
- محمد اليعلاوي : الأدب بإفريقية في العهد الفاطمي،دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1،١٩٨٦م.

فهرس الموضوعات

م	الموضـــــــوع	الصفحة
١	ملخص الدراسة	١٩٦٣
٢	Abstract	١٩٦٤
٣	التمثل المذهبي في القاموس المعجمي و مستوياته :	١٩٧٠
٤	١- معجم العلماء والفقهاء والدعاة:	١٩٧١
٥	٢- معجم الأمراء والقادة والسياسيين:	١٩٧٣
٦	٣- معجم الأدباء والكتّاب:	١٩٧٨
٧	خاتمة:	١٩٨٣
٨	بيبليوغرافيا :	١٩٨٥
٩	فهرس الموضوعات	١٩٨٧